حرب السودان
تشخيص لواقع بئيس

محمد سيف الدين أحمد





مؤسسة النازعات
Annazi'at

جمادى الأولى
١٤٤٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حرب السودان

تشخيص لواقع بئيس

محمد سيف الدين أحمد

النازعات

جمادى الأولى ١٤٤٧

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الكريم الجميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اندلعت في السودان في يوم ١٥ نيسان/أبريل ٢٠٢٣م حرب بين الجيش السوداني و«الدعم السريع»؛ وإننا في هذا المقال سنحاول إن شاء الله تعريف هذه الحرب وتوصيفها وتبين أطرافها وأسبابها وبداية نشوبها والأطراف الخارجية الفاعلة فيها، ثم نبين آثارها ومآلاتها بإذن الله.

أولًا: توصيف الحرب

حرب الخامس عشر من نيسان/أبريل هي امتداد لصراعات النخب السودانية وعنفها منذ الاستقلال الشكلي إلى يومنا هذا؛ ونقصد بهذه النخب الثقافية السودانية بشقيها المدني والعسكري. ودائما هذه الصراعات ما تكون بين النخب السياسية تؤدي إلى نزاعات عسكرية منذ حروب الجنوب الأولى إبان الاستقلال الشكلي، مرورًا بمجازر بيت الضيافة والجزيرة أبا وأحداث ١٩٧٦م والتي سميت بالغزو البنغازي إلى حروب دارفور ٢٠٠٣م، ثم حرب نيسان/أبريل الأخيرة؛ وذلك في سبيل الوصول إلى السلطة وإقصاء الآخر والاستمتاع بالنفوذ والسيطرة على موارد الدولة وأجهزتها وتسخيرها في سبيل النخبة المنتصرة.

وهذه النخب سياسية مدنية أو عسكرية ورثت السودان من المستعمِر، وعاشت فيه الفساد والقتل والنهب، وهي نخب شُكلت في زمن المستعمِر وتوارثت هذا التشكُّل، وهي نخب كما يصفها عبد الوهاب المسيري: **نخب وظيفية**، شكّلها المستعمِر لتقوم بالوظيفة التي كان يقوم به نيابة عنه وهذه النخب قد تكون جماعات أو أفراد يتولون أدوارًا محددة في المجتمع وغالبًا ما تكون هذه الأدوار ذات أهمية استراتيجية أو اقتصادية أو سياسية مثل:

- السيطرة على الموارد الاقتصادية.
- التأثير على القرار السياسي.
- توجيه الرأي العام.

ثانيًا: الأطراف المتحاربة

الطرف الأول: الجيش السوداني ومعه الحركات المسلحة وكتائب الحركة الإسلامية والمستنفرين وقوات درع السودان، ومن خلفهم الحركة الإسلامية السودانية وكل التنظيمات التي تفرَّعت عنها بتوفير غطاء سياسي وخطاب دبلوماسي وحشد للمقاتلين وسنبين كل طرف من هذا الطرف الأول:

الجيش السوداني: قام بتأسيسه المستعمِر البريطاني ووضع بروتوكولاته وقوانينه ونظمه وسماه بقوة دفاع السودان ليقوم بدور المستعمر بعد خروجه شارك الجيش السوداني مع المستعمر البريطاني في كثير من الحروب الخارجية

أهمها الحرب العالمية الثانية؛ رغم محاولات الأسلمة له من قبل الحركة الإسلامية بعد استلامها السلطة في حزيران/يونيو ١٩٨٩م، لكن لم تفلح هذه المحاولة وظل الجيش السوداني كما هو؛ جيش نظامي حديث لا فرق بينه وبين الجيوش النظامية الأخرى في المنطقة؛ فابتلع الجيشُ الحركةَ الإسلامية وشبّع أفرادها بأفكاره وقوانينه. ومنذ خروج المستعمِر إلى يومنا هذا لم يسلَم الجيش السوداني من دم السودانيين الأبرياء العُزَل، وكذلك دم بعض المسلمين في الخارج كمشاركته فيما يسمى «عاصفة الحزم» باليمن مرتزقًا قتَل كثيرًا من اليمنيين تحت إشراف التحالف الدولي.

الحركات المسلحة: حركات تمردت على الدولة منذ حرب دارفور لأغراض سياسية وهي حركات ذات دعم خارجي غربي وكانوا مرتزقة في ليبيا وتشاد وغيرها.

كتائب الحركة الإسلامية: كتائب شكلتها الحركة الإسلامية لحمايتها منذ الدفاع الشعبي، و«كتائب الظل»، ولواء «البراء بن مالك»، و«البرق الخاطف»، أو غيرها.

قوات درع السودان: بقيادة كيكل، وهي قوات كانت تقاتل مع «الدعم السريع»، لكنها انحازت إلى الجيش السوداني في تشرين الأول/أكتوبر من العام الماضي.

الطرف الثاني: قوات «الدعم السريع»، والحركة الشعبية بقيادة عبد العزيز الحلو، ومن خلفهما قوى إعلان الحرية والتغيير وهي بمقام غطاء سياسي ودعم دبلوماسي وخطاب تحشيدي.

الدعم السريع: قوات قامت بتأسيسها الحركة الإسلامية وحزب «المؤتمر الوطني» فزاعة لحمايتها من الانقلابات العسكرية من الجيش السوداني كانت تسمى «حرس الحدود» عند نشأتها ثم استُخدمت في حرب دارفور ٢٠٠٣م لوقف زحف الحركات المسلحة في دارفور وارتكبت فظائع بحق أهل دارفور كالتي تقوم بها الآن؛ وكُوفئت بأن أعطاها البرلمانُ السوداني الشرعيةَ الدستورية في ٢٠١٧م، ثم صارت تتبع لرئاسة الجمهورية مباشرةً تحت إشراف **عمر البشير**. عملت بالارتزاق في اليمن مع قوات التحالف الدولي ضد اليمن وقوات حفتر في ليبيا وفي تشاد أيضًا.

الحركة الشعبية: امتداد لحركة «جون قرنق»، ذات دعم غربي كنسي سخي، تسيطر على منطقة كاودا منذ النظام السابق الى الآن، حيث اتخذت منها معقلًا.

قوىٰ إعلان الحرية والتغيير (قحت): هي قوى سياسية تشكلت أيام الثورة على البشير وتضم حزب «الأمة» و«التجمع الاتحادي» وحزب «المؤتمر

السوداني» وحزب «البعث العربي الاشتراكي» و«تجمع المهنيين» وغيرها من القوى المدنية الأخرى.

ثالثًا: أسباب الحرب: أول أسباب الحرب الحالية وأهمها يعود إلى ما بعد ثورة كانون الأول/ديسمبر؛ فبعد شراكة بين المكوِّن العسكري (جيش ودعم سريع) والمكوِّن المدني (قوى إعلان الحرية والتغيير)، اتُفق فيها على فترة انتقالية لمدة ثلاثة أعوام؛ نصفها الأول يقوده العسكريون والنصف الآخر يقوده المدنيون.

وبعد انقضاء فترة العسكريين واقتراب المدنيين من استلام السلطة ممثلةً بالمجلس السيادي انقلَبَ البرهان وحميدتي بدعم من الحركة الإسلامية السودانية انقلابًا أشبه بالمفاصلة في ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢١م وعُزلت قوى الحرية والتغيير خوفًا من استفرادها بالسلطة والتشهي من الإسلاميين.

وبضغط من الرباعية ودول غربية وإقليمية ممثلة في الترويكا المكوِّن العسكري حميدتي والبرهان وصلوا لاتفاق سُمي بـ«الاتفاق الإطاري»، يعيد قوى إعلان الحرية والتغيير إلى الواجهة ويعيد الوضع إلى ما قبل ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر، ومن أهم بنوده مناقشة هيكلة الجيش السوداني ودمج «الدعم السريع» والحركات الأخرى فيه وإبعاد الإسلاميين؛ قبيل التوقيع على هذا الاتفاق بأيام

نشبت الحرب في السودان.. ولكن قبل نشوبها دعونا نتطرق لكيفية الاستعداد لهذه الحرب من قِبل الطرفين:

منذ الإطاحة بالبشير وحزب «المؤتمر الوطني» وتكوين حكومة حمدوك أي قبل أربعة أعوام بالضبط بدأ الاستعداد الفعلي لهذه الحرب سواء من قِبل عناصر في الجيش ومن خلفهم الحركة الإسلامية، وقوات «الدعم السريع» ومن خلفهم «قحت» عن طريق حشد القواعد ومراجعة الكتائب والخلايا خاصة من قِبل الإسلاميين. أما «قحت» فقد أدخلت عناصر فاعلة منها في «الدعم السريع» ودمجتهم بعد أن دُرِّبوا وأخذوا دورات عسكرية واستخباراتية في دول خارجية أهمها روسيا.

وقبل شهر رمضان الذي اندلعت فيه الحرب قتلت قوات من «الدعم السريع» كثيرًا من الضباط الإسلاميين في الجيش، وأخذوهم بعد إخبار أسرهم بأنهم ذاهبين الى مأمورية خارجية، وهكذا حُجِز وقُتل عناصر تابعة «لقحت» من قِبل كتائب ظل الحركة الإسلامية.

ولكنّ الحشد الفعلي تم من قِبل «الدعم السريع» في رمضان باستقدام مركبات قتالية وعتاد بشري هائل أُدخِل إلى الخرطوم من غرب السودان. أما الجيش فقد كان يبني حول قيادته العامة سورًا من حواجز اسمنتية، والإسلاميون قاموا بالحشد عن طريق إفطارات رمضانية واجتماعات منظمة.

قبل الحرب بيومين، أي في ١٣ نيسان/أبريل تحركت قوة من «الدعم السريع» قوامها ٢٠٠ عربة عسكرية إلى قاعدة «مروي الجوية» واستولت عليها وأسَرَت جنودًا مصريين وسودانيين، ولكنّ شرارة الحرب الفعلية بدأت في ١٥ نيسان/أبريل في المدينة الرياضية في الخرطوم حيث كانت توجد هناك قوة عسكرية مكونة من «الدعم السريع» والجيش، وفي صبيحة ١٥ نيسان/أبريل سُمِعت أصوات إطلاق نار واشتباك حول المدينة الرياضية.

وثمة روايتان لمن بدأ هذا الاشتباك: **الأولى** تقول إنّ «الدعم السريع» مَن بدأ الاشتباك، **وأخرى** –دعمتها بعد حديثي مع بعض مَن أعرفهم من الإسلاميين وأؤيد هذه الرواية– وهي: تحرك عربة تحمل عناصر من الإسلاميين أطلقت النار على الجيش و«الدعم السريع»، واندلعت الحرب.. بعدها تدخل الطيران وضرب معسكرات «الدعم السريع» في طيبة وغيرها، وضرب مركز التوجيه والسيطرة التابع «للدعم السريع» في الخرطوم، وحاصر «الدعمُ السريع» القيادةَ العامة واستولى على القصر الجمهوري والإذاعة وكثير من مفاصل الدولة.

أماكن سيطرة الطرفين الآن:

الجيش يسيطر على ولاية الخرطوم والجزيرة وسنار بعد أن دخلتها قوات «الدعم السريع».

وبقية أجزاء السودان خلا إقليم دارفور بولاياته الخمس وأجزاء من إقليم كردفان والمثلث الحدودي بين مصر وليبيا والسودان يسيطر عليها الآن «الدعم السريع».

رابعًا: الأطراف الخارجية

ما يميز هذه الحرب عن غيرها من صراعات النخب السودانية مباشرةُ تدخلِ الداعمين لهذه النخب من الخارج في هذه الحرب، بعد أن كان التدخل الخارجي قبل ذلك مستترًا، كما في حرب الجنوب ودارفور.

لذلك فالدعم الخارجي لم يقتصر على «الدعم السريع» فقط. فحتى الجيش السوداني، خاصة بعد الدعم المباشر له من قِبل الإسلاميين وحلفائهم في المنطقة مثل تركيا وإيران ومصر وأرتريا؛ وكانت أول شحنة سلاح تدخل للجيش السوداني قد دخلت من اليمن بواسطة جماعة الحوثي عن طريق مراكب صيد في البحر الأحمر، بعد ذلك شحنة عسكرية بواسطة سفينة رست على ميناء بورتسودان قادمة من أرتريا منذ الأشهر الأولى للحرب ولم يتوقف تدفق السلاح من إيران وتركيا وغيرها إلى يومنا هذا.

أما التدخل الفعلي المباشر فكان عن طريق تدريب كما حدث ويحدث بواسطة «الحرس الثوري» الإيراني من خلال وجوده في بورتسودان، مثل التدريب على طائرات «مهاجر» الإيرانية أو تدريب عناصر من الإسلاميين ما

زالوا في إيران أو تدريب عناصر أوكرانية لقوات تتبع للإسلاميين على المسيَّرات، ومشاركة أوكرانيين في قيادة طائرات شحن كانت تعمل على إسقاط عسكري في غرب السودان.

وكذلك التدخل المباشر للطيران المصري ومشاركته في معركة جبل موية بسنار، ومشاركة قوات من مليشيا التقراي الأثيوبية في معركة دندر والجزيرة وغيرها، ولا زالت هذه المليشيا موجودة في شرق السودان على تخوم الدندر.

قد يعجب بعضهم من هذا الدعم الإيراني للإسلاميين في السودان، لكنّ العلاقات أكبر من ذلك بكثير منذ أيام الترابي الذي كان يرى الخميني مرجعية ثورية وأنّ الانقلاب الذي قام به الترابي في السودان في حزيران/يونيو ١٩٨٩م هو امتداد للثورة الإسلامية الإيرانية ومحور المقاومة.

أما بالنسبة «للدعم السريع» فالدعم الخارجي ظاهر ومعروف ونصيب الأسد منه تتولاه الإمارات ثم ليبيا وتشاد.

استفاد «الدعم السريع» من مشاركته في «عاصفة الحزم» في تكوين علاقات مستقلة خاصة به بعيدًا عن الدولة مع الإمارات خاصةً في قطاعات الذهب والسلاح والموارد الأخرى. ومع الاتحاد الأوروبي منذ أن كان يسمى «حرس الحدود» حيث يعمل على محاربة الهجرة غير الشرعية لأوروبا.

يظهر الدعم الخارجي «للدعم السريع» في تدفق السلاح إلى اليوم من قِبل الإمارات عن طريق مطار نيالا وتدخل طيران حفتر في معارك الفاشر الأخيرة في المثلث الحدودي بين مصر وليبيا والسودان ومشاركة كتيبة السلفية في معاركه والمعارضة التشادية كذلك ومرتزقة كولومبيين في الفاشر وغيرها.

هذا التدخل الخارجي غير المسبوق في هذه الحرب جعل السودان مرتعًا للمخابرات العالمية.

خامسًا: آثار هذه الحرب

لهذه الحرب آثار ككل الحروب في العالم: **أولها**: الأثر الاقتصادي حيث تدمر الاقتصاد الذي كان يعاني أصلًا، وتدمرت البنية التحتية والمشاريع الزراعية والصناعية مما أثر على عامة الشعب السوداني، وأثرٌ نفسي آخر على المجتمع ناتج عن الضغوط المعيشية بسبب الركود الاقتصادي.

ولكنّ الأثر الأكبر فهو الأثر الاجتماعي؛ حيث أحدثت هذه الحرب شرخًا اجتماعيًّا كبيرًا لم يشهده السودان في تاريخه الحديث، وصل إلى مرحلة المفاصلة العرقية من تنامي للخطاب العنصري بين المكونات القبلية والحشد العسكري باسم القبيلة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك بحيث أصبح اسم قبيلتك هو الذي يحدد شكل التعامل معك من قتلٍ ونهبٍ واغتصابٍ، خاصة في مناطق سيطرة

«الدعم السريع»، وغدت هذه الحرب لا تراعي لا خلقًا ولا دينًا، فهي حرب بعيدة عن أي مقصد ديني أو أخلاقي.

سادسًا: مآلات هذه الحرب

حرب السودان هذه امتداد لحروب ما بعد ثورات الربيع العربي، وحروب الفوضى الخلَاقة، وتقسيمات الشرق الأوسط الجديد، وتوازن القوى؛ حيث معاني الحروب الجديدة من الجيل الرابع التي يقودها الغرب عن طريق وكلاء في الداخل في البلاد المستهدَفة بخلق حالة من توازن القوى بين قوتين متصارعتين، فكلما رجحت كفة تدخلَ الكفيل الخارجي مباشرة، كما حدث بعدما استولى «الدعم السريع» على ثلثي السودان، وكما يحدث الآن بعد أن تقدم الجيش إلى دارفور حيث تدخل الطيران الليبي وسهّلت أمريكا وصول «الدعم السريع» إلى صور الأقمار الصناعية في الفاشر. إلى أن ينتهي هذا الأمر بمناطق سيطرة ونفوذ لكلا الطرفين إلى أن تصل الدولة إلى مرحلة «اللاحرب واللاسلم» كما في الحالة اليمنية والحالة الليبية.

يتصور بعضهم أن يصل الجميع في السودان إلى تسوية شاملة تعيد الوضع الى ما كان عليه قبل الحرب وهؤلاء لم ينظروا لحال المنطقة المعاصر وخاصة بعد ٢٠١١م، وهو أمر شبه مستحيل لتنامي خطاب القابلية للانفصال الذي يعيشه السودان اليوم كما حصل قبل انفصال الجنوب بتحميل مكوّنٍ مجتمعي

معين مشاكل السودان، وأنّ بذهاب هذا المكون وانفصاله ستُحلّ كل مشاكل السودان؛ فالسيناريو الأمثل لذهاب السودان فيه هو الحالة الليبية.

ولمنع سيناريوهات التقسيم هذه، ولإعلاء كلمة الله في هذه البلاد، ينبغي ظهور خيار ثالث خارج ثنائية الأطراف المتصارعة من جيش و«دعم سريع»، وحلفاء داعمين لهما، وبالأخص في موضوع تحكيم شرع الله وإعلاء رايته وكلمته، فالحركة الإسلامية امتداد لحركات الإسلام المعولم، حكمت ثلاثين عامًا ولم نرَ منها لا دنيا ولا دين، أما «قحت» فهي لا تريد الدين أصلًا.

أما مجاهدو السودان ممن يعوَّل عليهم في نصرة الدين، خاصة مَن كان له باع في حرب أفغانستان وسورية والعراق وغيرها؛ فمنهم خُدع وغُرر بهم فقاتل تحت الجيش، وبعضهم في حيرة من أمرهم لا يقدر على فعل شيء خاصة بعد الحصار والتضييق الأمني الذي فُرض عليهم من قِبل الأجهزة الأمنية السودانية أمثال الشيخ أبو حذيفة السوداني وغيرهم.

ختامًا:

نجّى الله المسلمين من هذه الحرب وحفظ أموالهم وأعراضهم وأخرج لهم من بينهم مَن يُصلح حالهم ويُحكّم شرع الله فيهم ويجدد فيهم دينه.